Project Management Institute. Kingdom of Saudi Arabia

مكتب إدارة مشاريع فعال هو مكتب إدارة مشاريع رشيق

نشـأت مكاتـب إدارة المشـاريع من الحاجة إلى وجـود جهة موحدة تُشرف على المشـاريع داخل المنظمـة. فمع تنوع المشاريع وتعدد الفرق والمنهجيات، أصبحت المؤسسات بحاجة إلى مرجعية تضمن توحيد الإجراءات، وتحقيق الانضباط، والمتابعة الفعالة للأداء، وربط تنفيذ المشاريع بالأهداف الاستراتيجية. ولهذا ظهرت مكاتب إدارة المشاريع لتكون الجهة التي تنظم العمل وتوفر الأدوات والمنهجيات وتدعم متخذي القرار بمعلومات دقيقة وموثوقة.

بحسـب معهد إدارة المشـاريع PMI، توجد ثلاثة أنواع رئيسـية من مكاتب إدارة المشاريع تختلف حسب مستوى تدخلها وتحكمها. فهناك المكتب الداعم الذي يقدّم النماذج والإرشاد دون فرض إجراءات، وهناك المكتب الموجه الذي يتطلب مـن الفـرق اتباع معايير محـددة، أما المكتب المتحكم فهو الأكثر تأثيرًا، حيث يدير المشـاريع بشـكل مباشر ويوفر مدراء مشاريع ويتابع التفاصيل التنفيذية.

ومع تطور بيئة الأعمال وظهور الحاجة للسرعة والمرونة، أصبح واضحًا أن المكاتب التقليدية قد لا تكون كافية. من هنا ظهرت الحاجة إلى مكتب إدارة مشاريع رشيق، يتكيف مع طبيعة المشروع ومتغيرات المرحلة. هذا النوع من المكاتب لا يلتزم بدور واحد دائم، بل يغير من مسـتوى تدخله حسـب الحاجة. فقد يكون داعمًا في مشروع معين، ثم يتحول إلى دور أكـثر تحكمًـا إذا واجه المشروع تحديات أو دخل في مرحلة خطر، ثم يعود إلى دوره الداعم بعد تجاوز العقبات. كذلك، فإن المكتب الرشيق لا يقدم نفس الخدمات دائمًا، بل يقيّم احتياجات المنظمة ويعدل خدماته وأولوياته تبعًا لذلك.

غالبًا ما تعاني مكاتب إدارة المشاريع من نقص في الأيدي العاملة، مما يفرض عليها إدارة مواردها بكفاءة عالية. وفي أحيـان كثـيرة، يتم إهدار الوقت والجهد في تقديم خدمات لا تضيف قيمـة حقيقية في تلك المرحلة، مما يُفقد المكتب فعاليته. ولهذا، فإن المكتب الرشـيق يجب أن يكون دائم البحث عن الفائدة والمنفعة أينما وجدت، ويجب أن يغيّر أدواره ومهامه ومستوى تدخله بما يتماشى مع المصلحة العامة للمشروع والمنظمة. هذه المرونة تساهم في الحفاظ على الموارد وتحقيق أقصى فائدة ممكنة، مما يجعل المكتب مفيدًا طوال الوقت، لا مجرد جهة إدارية تقليدية.

في أحد المشـاريع التقنية، على سـبيل المثـال، بدأ مكتب إدارة المشـاريع بدور داعم، حيث كانت الفـرق تعمل بكفاءة باسـتخدام منهجيات Agile. لكن عند مواجهة مشـاكل في التكامل وتأخر التسـليم، اضطر المكتب إلى التدخل بشـكل مباشر، وإدارة التنسيق ووضع خطط بديلة، حتى تجاوز المشروع أزمته. بعد ذلك، عاد المكتب إلى دوره الداعم. هذا المثال يعكس جوهر الفكرة: مكتب إدارة المشـاريع الفعال هو المكتب الذي يتحول حسب الحاجة، ويقدم ما هو مفيد فقط، لا أكثر ولا أقل.

ولذلـك، فإن المكتب الرشـيق هو الخيار الأمثل في بيئة المشـاريع الحديثة، لأنه يمنح المؤسسـة القـدرة على التكيف، ويحافظ على مواردها، ويُركز على النتائج لا على الشكل. فمكتب إدارة المشاريع لا يُقاس بوجوده، بل بقيمته المستمرة.

بقلـم م.طارق ينبعاوي